

## مقاربات في العلوم الإنسانية والاجتماعية مقالات مترجمة من اللغة الفرنسية

### Approaches in the Social Sciences and Humanities

Articles Translated from French

هذه ثلاثة مقالات مترجمة من اللغة الفرنسية صادرة في مؤلف جماعي، تتعلق بمسائل "التاريخ المقارن والتاريخ المتقاطع" و"البنوية" و"تاريخ المصطلحات". وتشترك هذه المقالات في تقديمها مقاربات تُثري مناهج البحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية؛ إذ تحفز على الاهتمام بالتداخلات والتقاطعات بين هذه العلوم وما يقتضيه ذلك من اعتماد للمنهجية الملائمة، وتؤكد حيوية التلاقح المتبادل بين الاختصاصات المعرفية بما يدفع إلى التفكير والمراجعة وإعادة النظر والتعديل في استعمال الأدوات البحثية وفي التوصل إلى الاستنتاجات. كما تسلط هذه المقالات الضوء على أهمية التعامل مع المصطلحات والمفاهيم في تطور مدلولاتها وتنوع استعمالاتها وانتقالها من حقل معرفي إلى آخر. وبذلك تقدم هذه المقالات للباحث، في العلوم الإنسانية والاجتماعية، رؤى وأدوات وطرقاً ضامنة لفتح آفاق أوسع بشأن تحليل الواقع المعيش في شتى الاختصاصات.

**كلمات مفتاحية:** التاريخ المقارن، التاريخ المتقاطع، الكتابة التاريخية، البنيوية، تاريخ المفاهيم.

These three articles translated from French were published in a collective work<sup>1</sup>, concerning the issues "Comparative History and Intersectional History," "Structuralism," and "The History of Terminology." These articles all offer the researcher approaches that enrich research methods in the social sciences and humanities, inasmuch as they stimulate interest in the overlaps and intersections between these sciences and in sanctioning the suitable methodology and stress the vitality of between academic disciplines, which leads to reviewing, rethinking, and revising the usage of research tools and the reaching of conclusions. These articles also shed light on the importance of dealing with terminology and concepts as their meanings develop, their usages grow more diverse, and they are transmitted from one discipline to the next. As such, these articles offer the social-science or humanities researcher perspectives, tools, and responsible ways to expand the horizons of analyzing lived reality across various disciplines.

**Keywords:** Comparative History, Intersectional History, Historiography, Structuralism, History of Concepts.

\* أستاذ التاريخ الحديث، نائب عميد كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة تونس.  
Professor of Modern History and Vice Dean of the Faculty of Humanities and Social Sciences, University of Tunis.

بينديكت زيمرمان | Bénédicte Zimmermann

## التاريخ المقارن، التاريخ المتقاطع Histoire comparée, histoire croisée<sup>(1)</sup>

رغم أنّ المقارنة تؤسس لكل عملية معرفية، فإنّ منهجيتها في الأسلوب التاريخي تكون مرتبطة بصفة وثيقة بالأحداث السياسية. في أوروبا، أعطت حرب 1870، ثم الحرب العالمية الأولى، دفعاً لحركة مزدوجة لتعزيز التواريخ الوطنية ولتجاوزها، كما توضّح ذلك دعوة مارك بلوك M. Bloch "من أجل تاريخ مقارن للمجتمعات الأوروبية". وأسفرت فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية عن بحوث مقارنة كبيرة في التاريخ الاجتماعي والسياسي، شكّلت فيها الدولة-الأمة الوحدة المفضّلة. ورغم القطع مع انغلاق الكتابات التاريخية الوطنية ومع استغراقها، فإنّ هذه البحوث، مع ذلك، دعت رسوخها بالبحث في تحديد الخصوصيات والفوارق الوطنية عن مفاتيح لتفسير النزاعات الدولية، وتعدّ أطروحة "المسار الخاص" الألماني Sonderweg المثيرة للجدل مثلاً توضيحياً لذلك. ثم مثلت سنة 1989 ونهاية الحرب الباردة منعطفاً جديداً. وفي حين كانت المقارنة تحتل مكانة مهيمنة، بصفتها أسلوب بحثٍ وبناءً لمواضيع في ظرفية سياسية تتميز بمنطق التعارض بين كتلتين، فإنّ المعطى السياسي الجديد ساهم في تهمين مقاربات مخصصة لدراسة العلاقات والتداولات وعلاقات التبعية المتبادلة بين مختلف أجزاء العالم. وينتمي التاريخ المقارن إلى تلك العائلة من المقاربات العلائقية، على غرار تاريخ الاختلاط والتداولات بالنسبة إلى الفضاء الفرنكوفوني، والتواريخ المتشابهة والمتقاسمة والمتراطة بالنسبة إلى الفضاء الأنكلوسكسوني. ويتمثل قاسمها المشترك في تحويل التحليل بالنسبة إلى المونوغرافيات المقارنة المركّزة على وحدات ترايبية محدّدة نحو العلاقات التي تخترق هذه الوحدات وأوجه الترابط التي تشكلها. وينجم عن إعادة التعريف هذه بالموضوع تحوّل في الوقت نفسه؛ تجريبي ومنهجي وإبستمولوجي.

### أولاً: من المقارنة إلى التاريخ المتقاطع

مثّل التعاون بين الباحثين الفرنسيين والألمان أرضية خصبة لانتشار التاريخ المقارن، وكذلك التاريخ المتقاطع، وقبلة كانت دراسات التحويلات مدينة لتحفيزات المخبر الفرنسي - الألماني.

#### 1. المقارنة والوطنية المنهجية

يكمن مجال اختصاص المقارنة في المواجهة المنطقية بين وحدات مختلفة، يجبّد أن تكون متعادلة، حتى يتمّ تسليط الضوء بطريقة متباينة على مسألة أو قضية مشتركة، من خلال إبراز مظاهر الاختلاف والتشابه. ويكون اختيار سلّم المقارنة حاسماً، ويتمثل في اختيار بؤرة تكون، تحت هاجس التناسق، مماثلة بالنسبة إلى كل الوحدات. وإنّ شملت هذه المقارنة مستوى شبه أو فوق-وطني، وفضّلت سلّمًا صغيراً أو كبيراً، فهي تتخذ، غالباً، منطلقاً لأصناف ووقائع حددتها تقاليد الكتابات التاريخية، التي هي بدورها مشكلة تاريخياً ووطنياً. ويفضي غياب المسافة عن هذا التشكّل إلى وطنية منهجية تفكّ شفرة التواريخ الأخرى وتكتبها في ضوء تساؤلات كتابة تاريخية محددة. ومن خلال هذه المعضلة ينشأ فضاء الاستقصاء للتاريخ المتقاطع الذي يتناول موضوع مسارات تشكّل تصنيفات المقارنة ومسائلها، ضمن مواضيع أخرى، وكذلك التحولات الناتجة من الربط بينها.

1 Christian Delacroix et al. (dir.), *Historiographies: Concepts et débats*, Tome I (Paris: Gallimard, 2010), pp. 170-176.

## 2. وساطة التحويلات

كانت دراسات التحويلات من الدراسات الأولى في أوروبا التي طوّرت نقدًا لهذه العضلات ومحاولة لتجاوزها<sup>(2)</sup>، لكنها اقتصرت على أشكال معينة للتقلات. فهي تفترض نقطة انطلاق ونقطة وصول تحددها، غالبًا، أطر مرجعية وطنية. ولكن عندما يتعلّق الأمر بقياس الفوارق وظواهر الثقاف أو المقاومة، فإنّ هذه المعطيات تقيّم بحسب نماذج ثابتة. ويحدّد المعنى الفارق بالاعتماد على تصنيفات، لا تُساءل تاريخيتها ولا صلاحيتها إلا نادرًا. وفي حين كان هدف دراسات التحويل هو جعل الحدود بين وحدات وطنية نفاذة أكثر، وكسر أسطورة تجانسها، فإنّ التصنيفات التحليلية المستعملة تعيد إدخال المرجعيات الوطنية من قبل المجموعة التي كان يجب تسيبها. لذا، فعوض تخفيف القيد الوطني للكتابات التاريخية، فإنّ المقاربة من خلال التحويلات تتجه غالبًا إلى تدعيمه. وعلى المستوى التجريبي تحديدًا، فإنّ أغلب التحقيقات تتعلق بمسارات خطية بسيطة، بحسب منطق الإدخال والنشر والاستقبال الذي لا تخضع له الوضعيات المعقدة التي توجد فيها تفاعلات وتقلات متعددة.

## ثانيًا: التاريخ المتقاطع: بين التجريب والانعكاسية

تغذّي التاريخ المقارن من الحركة التي استهلتهها دراسات التحويلات، مع إجراء انتقال جديد: تحويلات نحو التداخلات المتبادلة والتقاطعات<sup>(3)</sup>. وبناءً عليه، لا يزعم التاريخ المتقاطع أنّه بديل من تحليل التحويلات أو المقارنة. فهو يتكفل، بالأحرى، بتساؤلات ومواضيع لا تكون في متناولها، وتضع في الصدارة عمليات تفاعلية وإنشائية وتحويلية. وعلى عكس المناهج السابقة، لا يحتوي هذا التمشّي على المشاهد والفضاءات الملائمة للتحليل على نحو مسبق، بل يقوم بتحديدتها خلال الدراسة الاستقصائية ذاتها بحسب التقاطعات الخاصة بموضوع الدراسة.

يفضي هذا السياق العلائقي والتفاعلي والإجرائي للتاريخ المتقاطع إلى إدراك أصناف مختلفة من التقاطعات التي تتكامل في ما بينها. ويكمن صنف أول، من النوع التجريبي، في مستوى موضوع البحث ذاته. وبهم صنف ثانٍ، من النوع المنهجي، وجهات النظر حول الموضوع، بالمزج - مثلًا - بين سلالم مجالية وزمنية مختلفة. وأخيرًا، يلزم صنف ثالث، من النوع الإبيستيمولوجي، العلاقات بين الملاحظ والموضوع وإشكالية الانعكاسية. وفي الواقع، ومهما كان التقاطع، فإنّه لا يعرض أبدًا على أنّه "سبق أن قدّم هنا" ويكفي التقاطع وتسجيله، ويستوجب ملاحظًا ليني مجال فهمه.

## 1. موضوع تجريبي آخر

يقتضي التقاطع وجود نقطة تلاقي قادرة على التأثير، بدرجات متفاوتة، في العناصر الموجودة، بحسب متانتها ومدى سهولة اختراقها ومحيطها. وتكون فكرة نقطة التلاقي، ذاتها، وكذلك صبغتها النشيطة والديناميكية، في أصل مبدأ التاريخ المتقاطع. ويظلّ اعتبار أنّه يحدث شيء ما، في الوقت الذي يقع فيه ربط العلاقة، فرضية قوية للتاريخ المتقاطع الذي يهتّم، نتيجة لذلك، بالتقاطعات نفسها، وكذلك بنتائجها.

2 Michel Espagne & Michael Werner, "La construction d'une référence culturelle allemande en France, genèse et histoire," *Annales: Histoire, Sciences Sociales*, vol. 42, no. 4 (1987), pp. 969-992.

3 Michael Werner & Bénédicte Zimmerman (dir.), *De la comparaison à l'histoire croisée* (Paris: Seuil, 2004).

## 2. متطلبات منهجية

يفترض تغيير المنظور، هذا، منهجية ملائمة. فالتقاطع لا يميّز تعريف الموضوع فقط، بل يشكّل أيضًا الممارسات البحثية. هكذا، في مجال السلالم المجالية والزمانية، يدفع التاريخ المتقاطع نحو تجاوز المعارضات بين الجزئي والكلّي وبين المدى القصير والمدى الطويل لوضع تشابكاتها في الصدارة. حينما تدعو مقتضيات التماثل في المقاربة المقارنة إلى التشديد على بعد بؤري وحيد، مختزل غالبًا، فإن التاريخ المتقاطع يركّز على تمفصلات السلالم، بهدف إدراك التفاعلات المشكّلة للظواهر المدروسة. ويوفر التاريخ عبر الوطني أو الشامل تجسيدًا جيّدًا لها. في أفق تاريخ متقاطع، لا يقتصر التاريخ عبر الوطني أو الشامل على مستوى تحليلي جديد يضاف إلى المحلي أو الجهوي أو الوطني، بل يكوّن حقائق في حدّ ذاتها مشكّلة في نطاق التفاعل مع أشكال أخرى لمنطق هيكلية المجال. بالنظر إليه من هذه الزاوية، يمكن للتاريخ المتقاطع أن يفتح ثنانيا واعدة لكتابة تاريخ عبر وطني، أو شامل، لا يقتصر على جملة التواريخ الوطنية، لكنه يأخذ في الاعتبار، في مسألة محدّدة، تنوع المعاملات والمفاوضات وإعادة التأويلات التي تحدث في مستويات مختلفة.

## 3. تداعيات إبستمولوجية

بذلك، تخترق الحدود الترابية واللغوية والثقافية، ويعاد النظر في الأصناف التحليلية التي تحمل أثر التشكيلات المجالية والزمنية ومن ثمّ السياسية لتوليدها. وليس الترسخ التجريبي في الوضعيات الملموسة للتحرك أكثر أهمية منها، وكذلك تعبئة آليات منهجية صارمة، وهي تعطي مكانة واسعة للانعكاسية. من خلال وضع ظواهر الترابط والتأثيرات المتبادلة والنبذ والإنتاج المشترك في قلب التحليل، يقترح التاريخ المتقاطع تحويل المنظور إلى الموضوع التاريخي، مع الحثّ على طريقة جديدة لبنائه، بالبحث عن الانسجام بين التساؤل والموضوع والمنهج التجريبي. ومع ذلك، لا تجد الدراسات المقارنة أو دراسات التحويلات نفسها - نتيجة لذلك - مقصاةً، بل مدعوة إلى التعايش مع تلك الأساليب الأخرى لفهم العالم ومقارنته، في نطاق التكامل التام.

فرانسوا دوس | François Dosse

## النبوية

### Structuralisme<sup>(4)</sup>

في سنة 1966، سنة أوج النموذج البنيوي، نشر فرناند بروديل Fernand Braudel طبعة جديدة من أطروحته الشهيرة المتوسط والعالم المتوسطي في عصر فيليب الثاني *La Méditerranée et le monde méditerranéen à l'époque de Philippe II*، أضاف إليها خاتمة جديدة أكد فيها ما يلي: "أنا بنيوي بالمزاج، ولا يجعلني الحدث إلا قليلاً وتجليني الظرفية بصفة متوسطة فقط". ثم خصصت مجلة *Annales* بعد فترة وجيزة، في سنة 1971، عددًا لـ "التاريخ والبنية"، نجد فيه عديدًا من ممثلي البحوث البنيوية الجارية، ومن ضمنهم رائدهم كلود ليفي ستراوس Claude Lévi-Strauss، الذي قال في هذه المناسبة: "لدي إحساس بأننا نقوم بالشيء نفسه". وفي سنة 1973، وفي درسه الافتتاحي في "كوليج دو فرانس" Collège de France بعنوان "التاريخ الثابت"، قال إيمانويل لي رولا دوروي Emmanuel Le Roy Ladurie، الذي خلف حينها بروديل، في هذه المناسبة: "منذ قرابة نصف قرن، من مارك بلوك Marc Bloch

4 Christian Delacroix et al. (dir.), *Historiographies: Concepts et débats*, Tome II (Paris: Gallimard, 2010), pp. 883-893.



إلى بيير غوبار Pierre Goubert، مارس أحسن المؤرخين الفرنسيين، وهم ممنهجون بانتظام، البنيوية بوعي، أو أحياناً من دون أن يعلموا، ولكن في أغلب الأحيان من دون أن يعرفوا ذلك". ويعني ذلك أن التخصص التاريخي كان متجاوزاً بصفة خاصة في الستينيات والسبعينيات مع "الموضة" التي حركت جملة العلوم الإنسانية حول مصطلح البنية الذي أثمر اللفظة الجديدة البنيوية؛ إذ كانت اللحظة التي لا حديث فيها في ندوات المؤرخين سوى عن البنيات التي نشر فيها المختصّ في التاريخ الوسيط بيير توبار أطروحته في جزئين، **بنيات منطقة لاتيوم الوسيطة**<sup>(1)</sup>.

اشتغل لفظ البنية، بأخذه في معناه الواسع، في الواقع خلال هذه السنوات بوصفه كلمة السرّ الحقيقية بالنسبة إلى جزء كبير من العلوم الإنسانية، مشكّلة برنامجاً موحداً لها. من أين أتى هذا المصطلح، البنيوية؟ إنه مشتقّ من البنية، وكان له في أول الأمر معنى معماري. تعني البنية، أولاً، "الطريقة التي شيدت بها بناية" (قاموس تريفو *Trévoux*، طبعة 1771)<sup>(2)</sup>. وفي القرنين السابع عشر والثامن عشر، تغيّر معنى لفظ البنية وتوسع بالقياس ليشمل الكائنات الحية، إذ أصبح ينظر إلى جسم الإنسان بوصفه بناية لدى فونتال Fontenelle، وكذلك اللغة مع فوجلا Vaugelas تحديداً. أخذت اللفظة، إذًا، معنى وصف الطريقة التي تنتظم بها جملة أجزاء كائن ملموس. ويمكن أن تشمل تطبيقات متعددة (بنيات تشريحية، ونفسية، وجيولوجية، ورياضية... إلخ). ولم يتولّ التمشي البنيوي زمام الأمور، حقيقة، في حقل العلوم الإنسانية إلا في مرحلة ثانية، قريبة، ابتداءً من القرن التاسع عشر، مع سبانسر Spencer ومورغان Morgan وماركس Marx.

أصبح الأمر يتعلق بظاهرة دائمة تربط بطريقة معقدة بين أجزاء مجموعة بمعناها الأكثر تجريدًا. ترسّخت لفظة البنية، وهي قليلة الاستعمال لدى ماركس باستثناء توطئة مؤلفه **نقد الاقتصاد السياسي** (1859)<sup>(3)</sup>، من قبل دوركايم Durkheim في نهاية القرن التاسع عشر في كتابه **قواعد المنهج السوسولوجي** (1895)<sup>(4)</sup>؛ حيث أفضت البنية، حينئذ، إلى ما يطلق عليه كتاب **المعجم** لأندريه لالاند André Lalande بالقياس: البنيوية، بين سنتي 1900 و1926. وولدت البنيوية لدى المختصين في علم النفس بهدف التصدي إلى علم النفس الوظيفي في بداية القرن العشرين، لكنّ نقطة الانطلاق الحقيقية للتمشي، في معناه الواسع الحديث، جاءت على مستوى كل العلوم الإنسانية من تطور الألسنية.

عرفت هذه اللحظة البنيوية مرحلتين منفصلتين بوضوح: مرحلة بناء البرنامج التوحيدي ومرحلة تفكيكه التدريجي. وساهم الإنشاء المؤسسي الصعب للعلوم الإنسانية بفرنسا بقوة في البحث عن أوجه التقارب حول برنامج يريد أن يكون علمياً ويشقّ طريقه بين الإنسانيات الكلاسيكية والعلوم الصحيحة. وقد حققت الأنثروبولوجيا الاجتماعية مع ليفي ستراوس قطيعتها مع الأنثروبولوجيا الطبيعية القديمة، وارتقت إلى دراسة الشأن الاجتماعي بوصفه ظاهرة اتصالية. وطبقاً لانتساب في الوقت نفسه دوركايمي ومتأثر بدعاة النسبية - كروبر Kroeber ولويي Lowie وبوا Boas - تباين ليفي ستراوس عن المقاربة الإثنولوجية بعبارات تاريخية، أي عن المدرسة الانتشارية؛ إذ أخذ مسافة، بالقدر نفسه، من مقارنة بعبارات نفسية وكذلك بعبارات أخلاقية لفهم ظاهرة القرابة؛ لا بوصفها ظاهرة انتساب دموي، بل من جهة أنها نظام تحالفات واتصال ضروري يقتضي تحريم سفاح القربى، لا بوصفها سلبية بل العكس إيجابية اجتماعية. النموذج الذي سمح لليفي ستراوس بإعادة استعمال النمط الذي وضعه مارسال ماوس Marcel Mauss المتعلق بـ "الفعل الاجتماعي الكلي" حول صورة الهبة والهبة المضادة هو نموذج الألسنية، وكان متأثرًا جدًا في هذا المجال برومان جاكوبسن Roman Jakobson، وبأعماله

1 Pierre Toubert, *Les structures du Latium médiéval* (Rome: Ecole française de Rome, 1973).

2 *Dictionnaire de Trévoux* (Paris: Compagnie des libraires associés, 1771).

3 Karl Marx, *Critique de l'économie politique* (Paris: Schleicher frères, 1859).

4 Emile Durkheim, *Les règles de la méthode sociologique* (Paris: [n. p.], 1895).

حول علم الأصوات. وبفضل حضوره دروس جاكوبسن في نيويورك خلال الحرب، استنتج أنّ "نظام القرابة هو خطاب". لذلك تسمح الألسنية بالولوج إلى الشفرة وبنمذجة المعطى الاجتماعي بحسب اللغة الرسمية للرياضيات الحديثة، وفي الوقت نفسه تسمح بالقيام بدراسات أنثروبولوجية تهتمّ بالرمزي والثقافي. ومن ثمّ، أصبح الوصول إلى لاوعي الممارسات الاجتماعية ممكناً، بحسب ليفي ستراوس، بفضل معرفة قواعد الخطاب.

إن كانت البنيوية هي بالأساس منتجاً للإثراء المتبادل بين الألسنية والأنثروبولوجيا، فالألسنية تؤدي دور العلم النموذجي خلال كامل هذه الفترة. وكان اكتشاف القطيعة التي أجراها دي سوسير de Saussure متأخراً بفرنسا. لذلك يتم الحديث عن "العودة إلى [...] دي سوسير"، والاحتفاظ بثلاثة عناصر أساسية من **درس (ه) في الألسنية العامة** Cours de linguistique générale: القطيعة مع الفاعل التي يقتضيها تمييزه بين اللغة والكلام؛ قطيعة مع التعاقبية لفائدة مقاربة تزامنية، وأخيراً قطيعة مع المدلول بحسب الصبغة الاعتبارية للعلامة. لم يؤثر "التحول الألسني" Linguistic turn بفرنسا إلا بتأخير زمني، وما زال غريماس Greimas يستغرب سنة 1956 في مقاله حول "راهنية السوسيرية" من ثراء المواضيع السوسيرية بالنسبة إلى العديد من العلوم الإنسانية، من دون أن يقدر بعد المختصون في الألسنية حجم ذلك. وأصبحت العودة إلى دي سوسير، ابتداءً من منتصف الخمسينيات، القاعدة الأساسية لغيليان سيميائي تطوّر انطلاقاً من أقطاب طرفية مثل ستراسبورغ Strasbourg، وبوزنسون Besançon، والفرع الرابع للمدرسة التطبيقية للدراسات العليا، أو كذلك كولييج دو فرانس.

ومن جهته، فهم لاكان Lacan الأهمية التي يمكن أن تكون لهذا النموذج الألسني بالنسبة إلى التحليل النفسي حتى يتمّ تجنب عقبة مضاعفة أمام التحليل النفسي: إضفاء الطابع الطبّي والتحويل النفسي. وحتى سنة 1949، أعاد تناول مداخلته لسنة 1936 حول مرحلة المرأة، اعتماداً على مفهوم البنية لليفي ستراوس، متأثراً كثيراً بنصين لعالم الأنثروبولوجيا، "المشعوذ والسحر" و"النجاعة الرمزية"، وقرأ له تعريفاً للأوعي، بوصفه مكاناً رمزياً ليس إلا، وغريباً عن المشاعر ومجرّد وظيفة رمزية للتبادل. وعندما رفض لاكان في سنة 1953 من قبل الجمعية الدولية للتحليل النفسي Association psychanalytique internationale, API، واضطر إلى بعث الجمعية الفرنسية للتحليل النفسي Société française de psychanalyse، بحث عن الاعتماد على البنيوية لوضع أسس لتحليل نفسي يريد أن يكون علمياً. وفي "تقرير روما" الذي حرره في سنة 1953 أوصى بـ "العودة إلى [...] فرويد"، وبقراءة مجددة انطلاقاً من الألسنية، ومثّل، إذًا، دي سوسير مرشداً بالنسبة إليه. وفي سنة 1957، في مقاله "الحضور اللغوي في اللاوعي" L'instance de la lettre dans l'inconscient، أعاد لاكان تناول نظام دي سوسير وطوّعه وفقاً لحاجاته. وبذلك يصبح اللاوعي أثراً لغوياً، ويجد الفاعل نفسه دومًا مشطراً، وصعب المنال لذاته، ويكون "الأنا" دومًا منفصلاً عن أنا. وحقّق، إذًا، هذا التثمين المبالغ فيه للأوعي الذي يحدث في البرادغيم البنيوي بصفة عامة. وإن كانت القرابة خطاباً بالنسبة إلى ليفي ستراوس فإنّها بالنسبة إلى لاكان "اللاوعي مهيكّل مثل الخطاب" حول استعارتين: المجاز الذي يمثل التكتيف، والكناية التي تسمح بانتقال السلسلة الدلالية.

سمحت سنة 1964 بتحقيق بعض الاختراقات في النظام القديم؛ فقد وفرت الإمكانية للبنيوية حتى تظهر بوصفها برنامجاً مشتركاً لعدة اختصاصات. وبالفعل، أنشئت في سنة 1964 الجامعة الجديدة في نانثير التي كان عليها أن تكون موقع الحداثة ذاته ضمن المواقع الأدبية. وفي السنة نفسها، صدر عدد خاص لمجلة **كومينيكا سيون Communications** التي يديرها رولان بارت، وخصّص للسيميائية، وعرّف بارت في هذا العدد "النشاط البنيوي" بكونه الوعي بالمفارقة وتسبب المعنى بحسب سياقه الخطابي. وفي الوقت ذاته، كوّن لاكان، الذي عُزل نهائياً من الجمعية الدولية للفرويدية، مدرسة القضية الفرويدية ECF ونقلته الدراسية من سانت آن Sainte-Anne إلى المدرسة العليا للأساتذة بأولم ENS Ulm، المكان العريق للإنسانيات الكلاسيكية، المعرّضة لحمّى حقيقية علموية

وإستيمولوجية بتشجيع من لويس ألتوسير Louis Althusser. واستقبل ألتوسير لاكان في مدرسة أولم، وأفسح كذلك المجال لتوجهاته ضمن الماركسية في نصّ "لاكان وفرويد"، الذي أيد فيه الاتجاهات الجديدة للتحليل النفسي التي حدّدها لاكان، ورأى في عودته لاكان إلى فرويد تمثيلاً لتمشيه الخاص في العودة إلى ماركس. وهي السنة نفسها التي بدأ فيها ليفي ستراوس مؤلفه الكبير، ثلاثيته حول الأساطير، **الأساطير** Mythologiques، مع نشر كتابه **النبيء والمطبوخ** Le cru et le cuit وأثبت فيه أن الفكر الأسطوري مهيكّل مثل خطاب.

فمن ناحية الفلسفة، نجد صياغة برنامج شامل يتجاوز هذه اليقينية أو تلك في اختصاصات العلوم الإنسانية. في أولم، مركز تجاوز السوربون الكلاسيكية جدّاً، والموقع العريق للنبوية الذي يوجد به لاكان ودريدا، أصبحت الفلسفة، حول لويس ألتوسير، "نظرية الممارسات النظرية" وتملّكاً لمكتسبات العلوم الاجتماعية الجديدة وتقويضاً داخلياً لها. فبفضل العودة إلى ماركس خلال السيمينارات التي بدأت في بداية الستينيات، شرع ألتوسير في إعادة قراءة ماركس ليجعل منه حلولاً للعلم، انطلاقاً من طبيعة إستيمولوجية يمكن اكتشافها في أعماله نحو سنة 1845. لذا، قد يكون هناك وجهان لماركس، ولا يحتفظ ألتوسير سوى بالوجه الثاني، ماركس العلم والسببية النبوية والتحدّد التضافري. وقد أعطى ألتوسير قراءة لماركس تعرض على أنها قراءة للمعاداة للإنسانية النظرية و"محاكمة من دون فاعل ومن دون موضوع"، ومثل ذلك من القضايا المشتغل بها في الأعمال النبوية لسنوات الستينيات التي يتحدث فيها عن الإنسان أكثر مما يتحدث هو ذاته.

وأجريت المحاولة الكبيرة لشمولية البرنامج النبوي من قبل ميشيل فوكو Michel Foucault في هذه "السنة الضوئية" للنبوية، وهي سنة 1966، عند صدور كتاب **الكلمات والأشياء** Les mots et les choses. وأعلن، حينها، فوكو عن موت الفلسفة وتعويضها بالتفكير بالأفعال، بفضل المنطق والألسنية. وأعطى فوكو الأفضلية لعلمين إنسانيين محددين: التحليل النفسي والإثنولوجيا، بما أنه ينظر إليهما بوصفهما من "العلوم المضادة" التي تسمح بإرباك كل من التاريخ والفاعل. واعتبر فوكو النزعة الإنسانية كأنها "عصر (نا) الوسيط"، وصورة الإنسان كأنها صورة عابرة ومحكوم عليها بالاندثار. فهنا أيضاً في تمثيل اللاوعي للعلوم الإنسانية، يمكن أن نعرّ على حقيقتها وراء ادعائها الوهمي المتمثل بإعادة الإنسان لسيطرة مستحيلة إلى الأبد منذ الجروح الترجسية الثلاثة التي أحدثها غاليلي Galilée وداروين Darwin وفرويد.

وإن كانت النبوية لم تفتأ تتراجع من الأفق النظري منذ سنة 1975، فلا يجب أن نظنّ - رغم ذلك - أن تضائل الإشعاع الإعلامي الذي كانت تحظى به في سنوات الستينيات يسمح بتشخيص غيبوبة متجاوزة، وأنه يكفي إجراء "غسيل واسع" لتحقيق المحو التام لماضٍ قد ولى. بالتأكيد، غيرت منعطفات كبرى البراديجم النبوي أو قوّضته بشدّة. ولم تعدّ الطموحات المفرطة جائزة، وأصبح التواضع أمراً حيويّاً؛ وعقدت تحالفات جديدة بحسب الضرورة الحتمية لوضعية تاريخية جديدة ولإنجازات علمية.

بصفتها حدثاً تاريخياً مهماً للتفكير النقدي وتعبيراً عن تطوّر تحرري للعلوم الإنسانية الفتية والباحثة عن مشروعية معرفية ومؤسسية، أثارت النبوية حماساً جماعياً حقيقياً لكل النخبة المثقفة الفرنسية مدّة لا تقلّ عن عشرينين.

فهتمت النبوية، في تعريف عام، على أنها لحظة تاريخية حدّدت حول كلمة سرّ حقيقية وحول عابر للحدود استخدم برنامجاً توحيدياً لجملة العلوم الإنسانية. كان فوكو يعتبر بذلك أنّ النبوية "ليست منهجاً جديداً، فهي الوعي اليقظ والقلق للمعرفة الحديثة"، وكان جاك دريدا Jacques Derrida يعرّف هذه المقاربة بأنها "مغامرة النظرة"، وكان رولان بارت Roland Barthes يرى النبوية مروّراً من الوعي الرمزي إلى الوعي النموذجي، أي ظهور الوعي بالمفارقة. إذًا، فالأمر يتعلق بحركة تفكير وعلاقة جديدة بالعالم أوسع بكثير من مجرد منهج ثنائي مناسب لهذا المجال الخاص للدراسة أو ذاك. ويفضّل هذا الإطار المرجعي للقراءة، الذي يراد له أن يكون توحيدياً،

الإشارة على حساب المدلول، والفضاء على حساب الزمن، والموضوع على حساب الفاعل، والعلاقة على حساب المحتوى، والثقافة على حساب الطبيعة.

أولاً، تشتغل البنيوية بوصفها براديجماً، لفلسفة الربية وللكشف من قبل مثقفين يهدفون إلى إزالة اللبس حول المعتقد الشائع doxa وتحريف المعنى وزعزعتة والبحث وراء القول عن التعبير عن سوء النية. وينخرط موقف الكشف، هذا، في إطار الانتساب إلى التقاليد الإبيستيمولوجية الفرنسية التي تفترض موقفاً متعالياً وقطعية بين الكفاءة العلمية والحس العام، بما أن الحس العام مشدود لوهم. ويكشف، وراء الخطاب التحرري للأنوار، انضباط الأجسام والاحتجاز، الاحتجاز الكبير للجسم الاجتماعي في سياق جهنمي للمعرفة والمقدرة. لذا، يقول بارت: "أرفض بشدة حضارتي حتى الغثيان". وينتهي المشهد الأخير من كتاب **الرجل العاري L'Homme nu** لليفي ستراوس بكلمة: "لا شيء" RIEN بحروف كبيرة، على نمط قداس أو مغيب للبشر. هذا البراديجم البنيوي سيكون قد رجّح تعطيل المدلول بوصفه وسيلةً لمحاربة المركزية الأوروبية ومختلف أشكال الغايات المتعزبة لفائدة تفكير إيجابي.

يتمثل البعد الثاني للبراديجم البنيوي في "العرض العمومي للشراء" OPA الذي يمثله من جانب الفلسفة تجاه ثلاثة علوم إنسانية بصدد التحرر يجمع بينها قاسم مشترك هو تهمين اللاوعي بوصفه مجالاً للحقيقة: الألسنية العامة عندما تفصل مع دي سوسير اللغة بوصفها موضوعاً شرعياً للكلام المكبوت في الأعلامي، والأنثروبولوجيا عندما تهتمّ بشفرة الرسالة أكثر من الرسالة نفسها، والتحليل النفسي عندما يفهم اللاوعي بوصفه أثراً للكلام. ويوجد هنا، على حدّ سواء، بحث عن إضفاء الشرعية وعن التأسيس من قبل العلوم الاجتماعية الفتية التي تواجه التموّج القوي للإنسانيات الكلاسيكية والتقاليد والنزعة المحافظة للسوربون القديمة. وتكرس البنيوية نفسها في هذا المستوى بوصفها خطاباً ثالثاً، بين الأدب والعلوم الصحيحة، باحثة عن المأسسة بالتأقلم اجتماعياً، ومتجاوزة مركزاً على غرار السوربون، من خلال جامعات طرفية والنشر والصحافة، أو من خلال مؤسسة موقرة ستستخدم ملاذاً للأبحاث المتقدمة: كوليغ دو فرانس. فهناك، إذاً، معركة حقيقية بين القدامى والمستحدثين، وفيها تؤثر قضية الانقطاع والقطعية في مستويات عدة. وبذلك تبحث العلوم الاجتماعية عن التحرر وقطع الحبل السري الذي كان يربطها بالفلسفة بالتأسيس لفاعلية منهج علمي. ومن جهتهم، سيتولى بعض الفلاسفة، الذين فهموا أهمية هذه الأعمال، القيام بتجميع حقيقي لبرنامجهم وإعادة تحديد لوظيفة الفلسفة بصفقتها فلسفة للمفهوم. وسيكون ذلك ما سُمّي "دراسة الأثر" l'effet-logie، أي استعادة أعمال العلوم الإنسانية من قبل فلسفة تتولى، في الوقت نفسه، تفكيك التصنيفات المستخدمة داخل الممارسات. وهكذا، ستحافظ الفلسفة على موقعها المركزي مع الإعلان عن نهايتها. ويعود الدور المهم الذي أداه الفلاسفة في هذه القضية إلى قدرتهم على تغليب برنامج توحيدي في منتصف الستينيات، وفي هذا المجال شكلت الشارة البنيوية راية الانضمام.

حدّد جيل دولوز Gilles Deleuze، في سنة 1972، بدقة البراديجم البنيوي، مبرزاً بعض المعايير المشتركة التي نجدتها في ما وراء الاختلاف بين اختصاصات العلوم الإنسانية. وفي المقام الأول، الأهمية التي تُعطى للبعد الرمزي الذي يتدخل بوصفه طرفاً ثالثاً بين الواقعي والخيالي. وفي المقام الثاني، اهتمام خاص أسند إلى المنطقيات التصنيفية للمكانة والموقع. والمعيار الثالث، الذي يفصله تعرّف إلى البراديجم البنيوي، هو وجهة الاختلاف في التموّج الذي يتواصل ببناء مجموعات متسلسلة. وأخيراً، نجد في قلب البنية الذي يبيح لها الحركة، خانة فارغة وفجوة في مكانها تجعل من التنقلات المتعددة ممكنة، أي ما يشبه درجة الصفر باعتبارها شرطاً للإمكانية.

كانت إحدى الخصائص المهمة لهذه اللحظة البنيوية تتمثل في كثافة المبادلات بين مختلف الاختصاصات العلمية التي كانت ستسمح بتنقل استثنائي للمفاهيم من حقل معرفي إلى آخر، ومن مؤلف إلى آخر. وأصبح هناك اقتصاد حقيقي للتبادل الثقافي بمجموعة كثيفة من الاستعارات والترجمات والتحويلات المفاهيمية للبنيوية من اختصاص إلى آخر.



وعلينا أن نميز بين الظاهرة البنيوية باعتبارها إعجاباً ببرنامج يعد بتوحيد حقل العلوم الإنسانية والمناهج الخاصة التي حلت محل ذلك الأمل في كل من تلك الاختصاصات، وذلك بحسب موضوعها الخاص وموقعها المحدد في المجال الشامل للجامعة والأبحاث، مع تدايمات المنافسات بين الاختصاصات والمعارك من أجل موقع الزعامة ونزعات هيمنية مؤقتة ومواقع نموذجية وتحالفات تكتيكية أشعلت الميدان الجامعي حول المعركة بين الإنسانيات والعلوم الاجتماعية وبين الحداثة والتقاليد. ومن وجهة النظر هذه، تعزف البنيوية بالمعركة التي جسدها في جملة التاريخ الثقافي الفرنسي في النصف الثاني من القرن العشرين.

هانس - يورغن لوزبرينك | Hans-Jürgen Lüsebrink

## تاريخ المفاهيم

### Begriffsgeschichte (Histoire conceptuelle)<sup>(5)</sup>

يهدف تاريخ المفاهيم Begriffsgeschichte، وهي عبارة صاغها ف. هيغل F. Hegel، إلى تحليل تطور المفاهيم (أو الكلمات المفاتيح) واستعمالها في كل الميادين المعنية بالأدوات اللغوية: الفلسفة، والنقد الجمالي، وتاريخ الفن، وكذلك، وبدرجة أولى، اختصاص الكتابة التاريخية في حد ذاته. وتشكل اللغة بالنسبة إلى تاريخ المفاهيم بدرجة أولى مؤشراً إلى واقع ما، وتعتبر، في حد ذاتها - علاوة على ذلك - عاملاً أساسياً في بناء كل واقع تاريخي<sup>(6)</sup>. ويندرج تاريخ المفاهيم، أساساً، في تقليدين أكاديميين: من جهة، في تاريخ الأفكار السياسية والفلسفية الذي يعود إلى نهاية القرن الثامن عشر، وخصوصاً مع مشروع ج. ج. فيدار J.G. Feder المتعلق بـ **المعجم التاريخي للمفاهيم الأساسية** (1774) *Idee eines historischen Wörterbuschs*. ومن جهة أخرى، في تاريخ اللغة، وتحديدًا في تاريخ الاصطلاح والمعجمية الذي تطور في اختصاصات فقه اللغة ابتداءً من القرن التاسع عشر وامتد إلى دراسة المجالات المعجمية والدلالية (ج. تريبي J. Trier، أ. كوزيريو E. Coseriu، إ. ريكان U. Ricken). وتطور تاريخ المفاهيم المنبثق، إذًا، من تقليدين مختلفين جدًا من حيث أهدافهما، ولكنهما في الوقت نفسه متقاربان من حيث الأدوات اللغوية المدروسة وبعض التساؤلات، ابتداءً من الخمسينيات خاصة في ألمانيا، ومن خلال النظرة المختلفة قليلًا عن السيميائية التاريخية في فرنسا.

في ألمانيا، بيّنت الأعمال الريادية للمختصّ في العصر الوسيط ر. كوبنار R. Koebner، وخاصة حول مفهومي "إمبراطورية" و"إمبريالية" *Imperialism: The Story and Significations of a Political Word, 1964* الرهانات الاجتماعية - السياسية للمعاني الجديدة المرتبطة بالمصطلح نفسه في عصور ومجتمعات مختلفة ومدروسة في أفق المدى الطويل؛ وفي فرنسا، رسخت مدرسة الحواريات، وخصوصاً ل. فافر L. Febvre ومارك بلوك M. Bloch، وفي أعقابهما أ. ديبرون A. Dupront وول. ترينار L. Trénard و. ماندرو R. Mandrou، دراسة الأبعاد الذهنية والثقافية للتاريخ في تحليل المفاهيم. وكان يفترض أن تعكس مصطلحات مثل "الإلحاد" Incroyance الذي درسه فافر (1947)، أو "الإقطاع" féodalité الذي تولّى تحليله بلوك (1949)، تصورات ذهنية للواقع الاجتماعي المتعدّد، ومن ثمّ تبيح اللولج إلى المخيال الذهني لمجتمع ما. وبالاعتماد مثلاً على الأعمال المتعلقة بالمفاهيم الاجتماعية - السياسية

5 Delacroix et al. (dir.), Tome I, pp. 177-183.

6 Reinhart Koselleck, *Begriffsgeschichten. Studien zur Semantik und Pragmatik der politischen und sozialen Sprache* (Frankfurt am Main: Suhrkamp, 2006), p. 99.

المستعملة في سجلات الشكاوى المعروفة في فرنسا بـ *Cahiers de doléances* سنة 1789، لاحظ ترينار في هذا المجال أنه "يمكن للمؤرخ أن يستنتج من هذه الوثائق مفاهيم مهيمنة واقتنانات لاواعية وتمثلات جماعية. ويمكن له تحليلها في علاقة بصيغة التعبير وبالمتن العضوي للغة. وتجمع السيميائية التاريخية بين المتكلم والوسيلة والمتقبل المحدد في المجال وفي الزمان"<sup>(1)</sup>.

وفي حين اختلط تاريخ المفاهيم في فرنسا، بصورة كبيرة، بتاريخ الذهنيات والثقافات، فإنه في ألمانيا طور حقلاً اختصاصياً مستقلاً، مركزاً بالتحديد على المشاريع الكبرى لمعاجم المفاهيم الأساسية الاجتماعية - السياسية والفلسفية والجمالية المستندة إلى تحليل على المدى التاريخي الطويل، وخاصة معجم *مصطلحات أساسية تاريخية* (*Notions clés historiques*) *Geschichtliche Grundbegriffe* لكل من كوزلاك وبرينار وكونز<sup>(2)</sup>، والمعجم التاريخي للفلسفة (*Historisches Wörterbuch der Philosophie*) *Dictionnaire historique de la philosophie* لكل من ريتاروغرونر وغابرييل<sup>(3)</sup>؛ ودليل *المصطلحات السياسية والاجتماعية بفرنسا 1680-1820* *Handbuch politisch-sozialer in Frankreich*، و *مصطلحات أساسية جمالية* (*Manuel des notions politiques et sociales en France*) لكل من رايشاردت وشميدت ولوزبرينك<sup>(4)</sup>، و *مصطلحات أساسية جمالية* (*Ästhetische Grundbegriffe*) *Concepts clés esthétiques* الذي يديره بارك وفونتيسوس وشلنستادت<sup>(5)</sup>.

بالنسبة إلى المؤرخ ر. كوزلاك (1923-2006)، منظر تاريخ المفاهيم في ألمانيا الذي كان أيضاً تلميذاً للفيلسوف هـ. ج. غادامار H.G. Gadamer، يشكّل تاريخ المفاهيم مكملاً ضرورياً للتاريخ الاجتماعي. فمن خلال المفاهيم والحقول الدلالية التي تؤطرها، يتحول الماضي إلى تاريخ ويتركز المعيش التاريخي بوصفه تجربة مستذكرة. ولذا، يسمح تاريخ المفاهيم، باللجوء إلى أوسع شريحة من المصادر الممكنة، التي تشمل وثائق شعبية ومخطوطات، بالإلمام بالفجوات والتباينات بين التطور التاريخي وأنماط تصوره الاجتماعي والذهني. وتعتبر بعض المصطلحات، مثل مصطلح "الثورة" الذي تطوّر في فكر التنوير (خاصة لدى ديدرو Diderot) من مصطلح دوري إلى مصطلح مفتوح يتولى وصف تغيير عميق للمجتمع، منذراً بتحوّلات تاريخية قادمة (مفاهيم استباقية "Concepts" *Erwartungsbegriffe* "anticipateurs"، بحسب كوزلاك). ولم تُفصّل إعادة اكتشاف السياسة بوصفها قطاعاً مستقلاً ووضع إطارها المفاهيمي من قبل ماكيفال، في نظر كوزلاك، إلى رؤية جديدة للمجتمع والدولة فقط، بل إلى طريقة جديدة لكتابة التاريخ أيضاً. وتغيرت على نحو ملحوظ، عبر القرون، مدلولات بعض المصطلحات التي ظلّت متماثلة من الناحية المعجمية، مثل "الزواج" أو "البرجوازي" أو "الدولة". ويعكس تحوّلها وإدراجها في مجالات سيميائية (أو مفاهيمية) خصوصية من الناحية التاريخية والثقافية تغيرات اجتماعية وسياسية واقتصادية كبيرة، لكن مع المحافظة على نوع من الاستقلالية تجاهها يسميها كوزلاك "البنية الداخلية" *Binnenstruktur* للحقول المفاهيمية.

وطبعت أربعة محاور للتغييرات تطور تاريخ المفاهيم منذ الثمانينيات:

في المقام الأول، ترك التركيز على مفاهيم منعزلة المكان إلى دراسة الحقول المفاهيمية التي تميزها شبكات مهيكلة (المصطلحات المرتبطة، المصطلحات النقيضة). وهكذا، يتعارض مصطلح "المواطن"، والمؤسس لفكرة السيادة بفرنسا منذ نهاية القرن الثامن عشر، في السياق الفرنسي، مع مفهوم "البرجوازي" و"الرعية" اللذين يرتبط بهما كذلك بصورة جوهرية. وينعكس خطاب فلاسفة القرن

1 Louis Trenard (ed.), *Histoire des Pays-Bas Français: Flandre, Artois, Hainaut, Boulonnais, Cambrésis* (Paris: Privat, 1972), p. 431.

2 Otto Brunner, Werner Conze & Reinhart Koselleck, *Geschichtliche Grundbegriffe* (Stuttgart: E. Klett, 1971).

3 Joachim Ritter, Karlfried Gründer & Gottfried Gabriel, *Historisches Wörterbuch der Philosophie*, vol. 13 (Basel/ Stuttgart: Schwabe, 1971).

4 Rolf Reichardt, Eberhard Schmidt & Hans-Jürgen Lüsebrink, *Handbuch politisch-sozialer in Frankreich, 1680-1820* (München: Oldenbourg, 1984).

5 K.H. Barck, M. Fontius & D. Schlenstedt, *Ästhetische Grundbegriffe* (Stuttgart: J.B. Metzler, 2000).

الثامن عشر حول الحكم المطلق في حقل سيميائي (أو مصطلحي) مترابط ومتشابك على نحو وثيق تهيكله أقطاب سيميائية متمحورة حول ثنائيات مفاهيمية ل: شعب - طاغية وحرية - استبداد ومواطن - رعية وأنوار - ظلمات<sup>(6)</sup>.

ثمّ يمكن أن نلاحظ، نتيجةً لأوجه التبادل ومجالات التقارب بين تقاليد تاريخ المفاهيم في ألمانيا، وتاريخ المفاهيم السياسية بإنكلترا والبلاد المنخفضة (هولندا) وبالبلدان الإسكندنافية (ك. سكينر Q. Skinner، ج. بوكوك J. Pocock، ب. إيهالينان P. Ihalainen، ج. إيفارسن J. Ifversen، ب. دان بوير P. Den Boer، ك. بالونان K. Palonen)، وتحليل الخطاب بفرنسا (ر. روبان R. Robin، د. مالديديي D. Maldidier، ج. غيلهومو J. Guilhaumou)، تركيزاً متزايداً على تحليل براغماتية المفاهيم: أي وظيفتها واستعمالها وتأثيرها في وضعيات اتصالية محددة، مثلاً مداوات المجلس الوطني خلال الثورة الفرنسية. وتطور هذا المحور البحثي الثاني خصوصاً في فرنسا، وتحديدًا حول مخبر المعجمية السياسية في دار المعلمين العليا بسان كلود ENS de Saint-Cloud في السبعينيات والتسعينيات ومجلة **كلمات Mots**، وكان له كذلك أثرٌ مهم في تطوّر تاريخ المفاهيم في ألمانيا. ويتأسس على توسيع متعمّد لمدوّنة التحليل أبعاد من "النصوص الكبرى" السياسية والفلسفية التي يحدها غالبًا تاريخ المفاهيم، في اتجاه مصادر متسلسلة ومدونات محددة (مراسلات، وصحف، ومناقشات عامة... إلخ)، وكذلك على رغبة في تمييز الاستعمال الاجتماعي للمفاهيم الاجتماعية - السياسية.

طوّر المحور الثالث مختلف العلاقات بين المفاهيم اللغوية والممارسات غير اللغوية، وتحديدًا الحركة وشبه اللفظي والمشهدي والصورة. لذلك بينت أعمال ر. رايشاردت الأهمية البالغة للإيكولوجيا (أو دراسة علم الأيقونات) بالنسبة إلى تاريخ المفاهيم، خاصة في أفق التاريخ الاجتماعي. فمصطلحات مثل "الحرية" و"الاستبداد" ليست مندرجة في مجالات مفاهيمية معقدة فقط، بل تكون كذلك بصورة في رسوم ومعالج ترميزية مشهوية (مثل احتفالات 14 تموز/ يوليو)، حتى تبلغ أوسع جمهور ممكن. وتتبلور كذلك في قصص، مثل قصص لاتود Latude، السجنين بمعتقل لا باستيل la Bastille والمجسد، ذاته، في نهاية القرن الثامن عشر، لـ "ضحية الاستبداد"، وهو ما يطرح مسألة العلاقات بين المفاهيمي والسردية<sup>(7)</sup>، التي تمّ التعرّض لها في أعمال حديثة.

وأخيرًا، وفي المقام الرابع، تطور البعد المقارن والتناقفي لتاريخ المفاهيم. وتشكّل المقارنة بين المعنى والاستعمال الاجتماعي - السياسي لمفاهيم تبدو متطابقة وتحليل مساراتها في الانتقال والترجمة بين الثقافات أفقًا بحثيًا يشكك في الحقل التطبيقي لتاريخ المفاهيم التقليدي. وتبيّن أعمال كوزلاك وفريقه حول المجالات المفاهيمية لـ "برجوازي" و"مواطن" / "Staatsbürger/ bourgeois، citoyen Bürger, citizen" في فرنسا وألمانيا وإنكلترا<sup>(8)</sup> الإضافة التي توفرها هذه التساؤلات الثقافية، وكذلك الأمر بالنسبة إلى البحوث حول نقل الكلمات المفاتيح الاجتماعية - السياسية مثل "أمة" و"شعب" من ألمانيا إلى فرنسا في نهاية القرن الثامن عشر<sup>(9)</sup>.

وتظهر مجلتا **أرشيف للتاريخ المفاهيمي** *Archiv für Begriffsgeschichte* (منذ سنة 1955) ومساهمات في تاريخ المفاهيم *Contributions to the History of Concepts* (منذ سنة 2005)، وكذلك المؤتمرات السنوية لـ "مجموعة تاريخ المفاهيم السياسية والاجتماعية" *History of Political and Social Concepts Group* هذه التحولات، وقد ساهمت في إعطاء مجال تاريخ المفاهيم بعدًا عالميًا وتناقفيًا، سواء عن طريق شبكات الباحثين أو بنيات الموضوع المدروس ذاتها.

6 Hans-Jürgen Lüsbrink & Rolf Reichardt, *Die Bastille: Zur Symbolgeschichte von Herrschaft und Freiheit* (Frankfurt am Main: Fisher, 1990).

7 Ibid.

8 Koselleck, pp. 402-461.

9 Lüsebrink, Reichardt & Schmidt.

## المراجع

- Barck, K.H., M. Fontius & D. Schlenstedt, *Ästhetische Grundgriffe*. Stuttgart: J.B. Metzler, 2000.
- Brunner, Otto, Werner Conze & Reinhart Koselleck. *Geshichtliche Grundbegriffe*. Stuttgart: E. Klett, 1971.
- Delacroix, Christian et al. (dir.). *Historiographies: Concepts et débats*. Paris: Gallimard, 2010.
- Durkheim, Emile. *Les règles de la méthode sociologique*. Paris: [n. p.], 1895.
- Espagne, Michel & Michael Werner. "La construction d'une référence culturelle allemande en France, genèse et histoire." *Annales: Histoire, Sciences Sociales*. vol. 42, no. 4 (1987).
- Koselleck, Reinhart. *Begriffsghichten. Studien zun Semantik und Pragmatik der politischen und sozialen Sprache*. Frankfurt am Main: Suhrkamp, 2006.
- Lüsbrink, Hans-Jürgen & Rolf Reichardt. *Die Bastille: Zur Symbolgeschichte von Herrschaft und Freiheit*. Frankfurt am Main: Fisher, 1990.
- Marx, Karl. *Critique de l'économie politique*. Paris: Schleicher frères, 1859.
- Reichardt, Rolf, Eberhard Schmidt & Hans-Jürgen Lüsebrink. *Handbuch politisch-sozialer in Frankreich, 1680-1820*. München: Oldenbourg, 1984.
- Ritter, Joachim, Karlfried Gründer & Gottfried Gabriel. *Historisches Wörterbuch der Philosophie*. Basel/ Stuttgart: Schwabe, 1971.
- Toubert, Pierre. *Les structures du Latium médiéval*. Rome: Ecole française de Rome, 1973.
- Werner, Michael & Bénédicte Zimmerman (dir.). *De la comparaison à l'histoire croisée*. Paris: Seuil, 2004.